

تفسير ابن كثير

يقول ا [تعالی منکرا علی المنافقین فی موالاتهم الکفار فی الباطن وهم فی نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنین كما قال تعالی : { مذبذبین بین ذلك لا إلی هؤلاء ولا إلی هؤلاء ومن یضلل ا [فلن تجد له سبیلا } وقال ههنا : { ألم تر إلی الذین تولوا قوما غضب ا [علیهم } یعنی اليهود الذین کان المنافقون یمالئونهم ویوالونهم فی الباطن ثم قال تعالی : { ما هم منکم ولا منهم } أي هؤلاء المنافقون لیسوا فی الحقيقة منکم أيها المؤمنون ولا من الذین یوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالی : { ویحلفون علی الکذب وهم یعلمون } یعنی المنافقین یحلفون علی الکذب وهم عالمون بأنهم کاذبون فیما حلفوا وهي الیمین الغموس ولا سیما فی مثل حالهم اللعین عیادا با [منه فإنهم کانوا إذا لقوا الذین آمنوا قالوا آمنا وإذا جاؤوا الرسول حلفوا له با [إنهم مؤمنون وهم فی ذلك یعلمون أنهم یکذبون فیما حلفوا به لأنهم لا یعتقدون صدق ما قالوه وإن کان فی نفس الأمر مطابقا ولهذا شهد ا [بکذبهم فی أیمانهم وشهادتهم لذلك .

ثم قال تعالی : { أعد ا [لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما کانوا یعملون } أي أرصد ا [لهم علی هذا الصنيع العذاب الأليم علی أعمالهم السيئة وهي موالة الکافرين ونصحهم ومعاودة المؤمنین وغشهم ولهذا قال تعالی : { اتخذوا أیمانهم جنة فصدوا عن سبیل ا [} أي أظهروا الإیمان وأبطنوا الکفر واتقوا بالإیمان الکاذبة فظن كثير ممن لا یعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صد عن سبیل ا [لبعض الناس { فلهم عذاب مهین } أي فی مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم ا [العظيم فی الأیمان الکاذبة الخائنة ثم قال تعالی : { لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من ا [شیئا } أي لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم { أولئک أصحاب النار هم فیها خالدون } ثم قال تعالی : { يوم یبعثهم ا [جمیعا } أي یحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا یغادر منهم أحدا { فیحلفون له كما یحلفون لکم ویحسبون أنهم علی شیء } أي یحلفون با [D أنهم کانوا علی الهدی والاستقامة كما کانوا یحلفون للناس فی الدنیا لأن من عاش علی شیء مات علیه وبعث علیه ویعتقدون أن ذلك ینفعهم عند ا [كما کان ینفعهم عند الناس فیجرون علیهم الأحکام الظاهرة ولهذا قال : { ویحسبون أنهم علی شیء } أي حلفهم بذلك لربهم D .

ثم قال تعالی : منکرا علیهم حسبانهم { ألا إنهم هم الکاذبون } فأكد الخبر عنهم بالکذب وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا ابن نفیل حدثنا زهير عن سماک بن حرب حدثني سعيد بن جبیر أن ابن عباس حدثه أن النبی صلی ا [علیه وسلّم کان فی ظل حجرة من حجره وعنده

نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال : [إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه] فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال : [علام تشتمني أنت وفلان وفلان] نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه قال فأنزل الله D { فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون } . وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول : { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين * انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون } ثم قال تعالى : { استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله } أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنسأهم أن يذكروا الله D وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ولهذا قال أبو داود : حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب بن حبيش عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يقول : [ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة وإنما يأكل الذئب القاصية] قال زائدة : قال السائب : يعني الصلاة في الجماعة ثم قال تعالى : { أولئك حزب الشيطان } يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله ثم قال تعالى : { ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون }